

تفسير البحر المحيط

@ 264 @ بالمعرفة ذي اللام دليل على تعريفه مع ما في ذلك المذهب من هدم ما ذكره

المتقدمون من أن المعرفة لا تنعت إلا بالمعرفة ، والجمل نكرات . { بِرِئُوسَ مَثَلٌ
الْقَوِّمِ } . قال الزمخشري : بئس مثلاً مثل القوم . انتهى . فخرجه على أن يكون التمييز
محذوفاً ، وفي بئس ضمير يفسره مثلاً الذي ادعى حذفه . وقد نص سيبويه على أن التمييز
الذي يفسره الضمير المستكن في نعم وبئس وما أجري مجراها لا يجوز حذفه . وقال ابن عطية
: والتقدير بئس المثل مثل القوم . انتهى . وهذا ليس بشيء ، لأن فيه حذف الفاعل ، وهو لا
يجوز . والظاهر أن { مَثَلٌ الْقَوِّمِ } فاعل { بِرِئُوسَ } ، والذين كفروا هو المخصوص
بالذم على حذف مضاف ، أي مثل الذين كذبوا بآيات الله ، وهم اليهود ، أو يكون { الَّذِينَ
كَذَّبُوا } صفة للقوم ، والمخصوص بالدم محذوف ، التقدير : بئس مثل القوم المكذبين
مثلهم ، أي مثل هؤلاء الذين حملوا التوراة . .

روي أنه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، كتبت يهود المدينة ليهود خيبر : إن
اتبعتموه أطعناكم ، وإن خالفتموه خالفناه ، فقالوا لهم : نحن أبناء خليل الرحمن ، ومنا
عزيز بن الله والأنبياء ، ومتى كانت النبوة في العرب نحن أحق بها من محمد ، ولا سبيل إلى
اتباعه ، فنزلت : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ * أَلَيْسَ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } ، وكانوا يقولون
نحن أبناء الله وأحباؤه ، وإن كان قولكم حقاً فتمنوا أن تنقلوا سريعاً إلى دار كرامته
المعدة لأوليائه ، وتقدم تفسير نظير بقية الآية في سورة البقرة . وقرأ الجمهور :
فَتَتَمَنَّوْاُ الْمَوْتَ ، بضم الواو ؛ وابن يعمر وابن أبي إسحاق وابن السميع :
بكسرهما ؛ وعن ابن السميع أيضاً : فتحها . وحكى الكسائي عن بعض الأعراب أنه قرأ بالهمز
مضمومة بدل الواو ، وهذا كقراءة من قرأ : تلؤون بالهمز بدل الواو . قال الزمخشري : ولا
فرق بين لا ولن في أن كل واحد منهما نفي للمستقبل ، إلا أن في لن تأكيداً وتشديداً ليس
في لا ، فأتى مرة بلفظ التأكيد : { وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ } ، ومرة بغير لفظه : { وَلَا
يَتَمَنَّوْنَهُ } ، وهذا منه رجوع عن مذهبه في أن لن تقتضي النفي على التأييد إلى مذهب
الجماعة في أنها لا تقتضيه ، وأما قوله : إلا أن في لن تأكيداً وتشديداً ليس في لا ،
فيحتاج ذلك إلى نقل عن مستقري اللسان . .

وقرأ الجمهور : { فَإِنَّ زَنْهَهُ } ، والفاء دخلت في خبر إن إذا جرى مجرى صفته ، فكان إن
باشرت الذي ، وفي الذي معنى الشرط ، فدخلت الفاء في الخبر ، وقد منع هذا قوم ، منهم
الفراء ، وجعلوا الفاء زائدة . وقرأ زيد بن علي : إنه بغير فاء ، وخرجه الزمخشري على

الاستئناف ، وخبر إن هو الذي ، كأنه قال : قل إن الموت هو الذي تفرون منه . انتهى .
ويحتمل أن يكون خبر أن هو قوله : أنه ملاقيكم ، فالجملة خبر إن ، ويحتمل أن يكون إنه
توكيداً ، لأن الموت وملاقيكم خبر إن . لما طال الكلام ، أكد الحرف مصحوباً بضمير الاسم
الذي لإن . .

{ إِذَآ نُوْدِيَّ } : أي إذا أذن ، وكان الأذان عند قعود الإمام على المنبر . وكذا كان
في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم) ، كان إذا صعد على المنبر أذن على باب المسجد ، فإذا
نزل بعد الخطبة أقيمت الصلاة . وكذا كان في عهد أبي بكر وعمر إلى زمان عثمان ، كثير
الناس وتباعدت المنازل ، فزاد مؤذناً آخر على داره التي تسمى الزوراء ، فإذا جلس على
المنبر أذن الثاني ، فإذا نزل من المنبر أقيمت الصلاة ، ولم يعب ذلك أحد على عثمان رضى
الله عنه . فإن قلت : من في قوله : { مِّن يَّوْمِ الْجُمُعَةِ } ما هي ؟ قلت : هي بيان
لإذا وتفسير له . انتهى . وقرأ الجمهور : الجمعة بضم الميم ؛ وابن الزبير وأبو حيوة
وابن أبي عبله ، ورواية عن أبي عمرو وزيد بن علي والأعمش : بسكونها ، وهي لغة تميم ،
ولغة بفتحها لم يقرأ بها ، وكان هذا اليوم يسمى عروبة ، ويقال : العروبة . قيل : أول
من سماه الجمعة كعب بن لؤي ، وأول جمعة صليت جمعة سعد بن أبي زرارة ، صلى بهم ركعتين
وذكرهم ، فسموهم يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ، فأنزل الله آية الجمعة ، فهي أول جمعة جمعت
في الإسلام . .

وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فإنه لما قدم المدينة ، نزل
بقباء على بني عمرو بن عوف ، وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وأسس
مسجدهم ، ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة ، فأدرك صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف ،
في بطن واد لهم ، فخطب وصلى الجمعة . والظاهر وجوب السعي لقوله تعالى : { فَاسْعَوْاْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } ، وأنه يكون في المشي خفة وبدار . وقال الحسن وقتادة ومالك
وغيرهم : إنما تؤتى الصلاة بالسكينة ، والسعي هو بالنية والإرادة والعمل ، وليس